غزوات المصطفى ﷺ

(٧)

غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ..

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

يَا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِي

وَلٰكِنْ هَلْ يُتْرَكُ بَنُو قُرَيْظَةَ بَعْدَ غَدْرِهِمْ وَخِيَانَتِهِمْ ؟ أَبَداً ، فلا بُدَّ مِنْ تَأْدِيبِهِمْ وَطَرْدِهِمْ مِنَ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ .

وَلِذَلكَ مَا إِنْ انْتَهَتْ غَزْوَةُ الأَحْزَابِ ، وَعَادَ المُسْلِمونَ إِلَىٰ بيُوتِهِمْ ، حتَّى هَبَطَ الأَمِينُ جِبْرِيلُ عَلَىٰ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم يَأْمُرُهُ بالانْطِلاقِ إِلىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ .

فَنَادَىٰ مُنادِي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلاَّ في بَني قُرَيْظَةَ » .

ثُمَّ قَامَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وَلَبِسَ عِدَّةَ الحَرْبِ ، وَأَمَرَ مُنادِيهِ فَنَادَىٰ : يَا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِي .

وَتَجَمَّعَ مِنَ المُسْلمينَ قُرَابَةُ ثَلاثةِ آلافٍ ، وَحَمَلَ الرَّايَةَ عَليُّ بْنُ أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ .

وَلَمَّا وَصَلَتْ أَنْبَاءُ زَحْفِ الجَيْشِ الإِسْلامِيِّ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ ، تَحَصَّنُوا دَاخِلَ الحُصُونِ وَالقِلاعِ ، وَكَانَ مَعَهُمْ (حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبٍ) الَّذي كانَ يُشَجِّعُهُمْ عَلَىٰ قِتَالِ المُسْلِمينَ وَقَتْلِ رَسُولِ اللهِ!

وَلَمَّا أَحَاطَ المُسْلِمونَ بِأَسْوَارِ حُصُونِهِمْ ، رَاحَ اليَهُودُ يَرْمُونَهُمْ بِالحِجَارَةِ ، وَيُفْحِشُونَ لَهُمُ القَوْلِ ، وَيَشْتُمُونَ وَيَسُبُّونَ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم .

فَنَادَاهُمْ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم قَائلاً : « يا مَعْشَرَ يَهُودَ ، يَا إِخْوَةَ القِرَدَةِ وَالخَنَازِيْرِ ، قَدْ نَزَلَ بِكُمْ خِزْيُ اللهِ » .

ثُمَّ نَادَاهُمْ حَليفُهُمُ السَّابِقُ (أُسَيْدُ بْنُ حُضَيرٍ) قَائلاً : يا أعداءَ اللهِ لاَ تَبْرحُوا حُصُونَكُمْ حَتَّىٰ تَمُوتُوا جُوعاً ، فَإِنَّما أَنْتُمْ بِمَنْزِلَةِ ثَعْلبٍ في جُحْرٍ!!

* * *

نصيحةُ سَيِّدِهِمْ كَعْبِ بْنِ أَسَدٍ

وَحَاصَرَهُمْ المُسْلمونَ قُرَابَةَ خَمْسٍ وَعِشرينَ لَيْلَةً ، ذَاقُوا فيها الجُهْدَ وَالتَّعَبَ ، وَقَذَفَ اللهُ الرُّعْبَ في قُلُوبِهِمْ ، فَقَالُوا لِسَيِّدِهِمْ كَعْبٍ : أَلاَ تَرَىٰ لَنَا حَلاً ؟!

قَالَ : بَلىٰ ، لَقَدْ نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الأمْرِ مَا تَرَوْنَ ، وَإِنِّي عَارِضٌ عَلَيْكُمْ خِلالاً ثَلاثاً ، فَخُذُوا أَيَّها شِئْتُمْ ، فَقَالُوا : وَمَا هِيَ ؟

قَالَ : إِمَّا أَنْ نُتَابِعَ هٰذَا الرَّجُلَ ـ وَيَعْنِي بِذٰلِكَ الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم ـ ونُصَدِّقَهُ ، فَواللهِ

لَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، وَأَنَّهُ الَّذي تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ ، فَتَأْمَنُونَ عَلَىٰ دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ .

فَإِنْ أَبَيْتُمْ ، فَلْنَقْتُلْ نِساءَنا وَأَبْنَاءَنا وَنَخْرُجْ إِلَىٰ مُحمّدٍ وَأَصْحَابِهِ رِجَالاً مُصْلِتينَ السُّيوفَ لَمْ نَتْرُكْ وَرَاءَنا ثِقَلاً حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحمدٍ ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ هٰذِه أَيْضاً ، فَإِنَّ اللَّيْلَةَ ليلةُ السَّبْتِ ، وَعَسَىٰ أَنْ يكونَ مُحمدٌ وَأَصْحَابُهُ قَدْ أَمِنُونَا فِيها ، فَانْزِلُوا لَعَلَّنا نُصيبُ مِنْ مُحَمدٍ وَأَصْحَابِهِ غِرَّةً .

.. وَلكنْ أَنَّىٰ للِيَهُودِ أَنْ يَتَنَازَلُوا عَنِ الأَمْوالِ وَالبَسَاتينِ وَنَحْوِ ذٰلِكَ ، وَهُمْ كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ تَعَالىٰ بِقَوْلِهِ :

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ

أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرْ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿

[البقرة : ٩٦] .

* * *

لَقَدْ حَارُوا فِي أَمْرِهِمْ!!

وَأُصِيبَ بَنُو قُرَيْظَةَ بِالحِيرَةِ ، مَاذَا يَفْعَلُونَ وَقَدْ رَأَوْا جَيْشَ المُسْلِمِينَ يُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ؟!

أَرْسَلُوا إِلَىٰ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم مَنْ يُفَاوِضُهُ عَلَىٰ أَنْ يَسْمَحَ لَهُمْ بِالخُرُوجِ سَالِمِينَ ، وَيُخْرِجُوا مَعَهُمُ الأَمْوَالَ - كَمَا فَعَلَ مِنْ قَبْلُ مَعَ بَنِي النَّضِيرِ - لٰكِنَّهُ رَفَضَ ذٰلِكَ ، فَحَاوَلُوا مَرَّةً وَمَرَّةً ، وَالرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم يَرْفُضُ ذٰلِكَ كُلَّهُ .

فقالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلامُ : « أَلاَ يُرْضِيكُمْ أَنْ يَحْكُمَ رَجُلٌ مِنْكُمْ ؟ » .

قَالُوا : بَلَىٰ .

فَاخْتَارَ (سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ) - وَكانَ مُصاباً بِجُروحٍ عَمِيقَةٍ في غَزْوَةِ الخَنْدَقِ ، وَكَانَ قَدْ سَأَلَ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ لا يُميتَهُ حَتَّىٰ يَرَىٰ نِهايَةَ اليَهُودِ - .

وَحُمِلَ سَعْدٌ عَلَىٰ سَرِيرٍ حتَّىٰ أُتِيَ بِهِ إِلىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، ثُمَّ نَطَقَ بِالحُكْمِ قَائِلاً : أَحْكُمُ فيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الرِّجَالُ ، وَتُقْسَمَ الأَمْوالُ ، وتُسْبَىٰ الذَّرارِي والنِّساءُ .

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : « لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَواتٍ » .

* * *

هُوَ وَاللهِ القَتْلُ

وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِحَفْرِ خَنْدَقٍ في أَحَدِ نَواحِي المَدِيْنَةِ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَىٰ رِجالِ بني قُرَيْظَةَ ، فَضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ ، وَاحِداً تِلوَ الآخَرِ ، وَكانوا قُرابَةَ سَبْعِمِئَةِ رَجُلٍ ، وَكانَ مِنْ بَيْنِ القَتْلىٰ (حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ) ؛ حيثُ جِيءَ بِهِ إِلىٰ الرَّسُولِ وَيَدَاهُ مَجْموعَةٌ إِلَىٰ عُنُقِهِ بِحَبْلٍ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلىٰ الرَّسُولِ قَالَ : أَمَا وَاللهِ مَا لُمْتُ نَفْسِي في عَدَاوَتِكَ يَا مُحَمَّدُ! وَلٰكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللهَ يُخْذَلْ .

وَأَمَّا النِّساءُ وَالأَبْنَاءُ وَالأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِّمَتْ

عَلَىٰ المُسْلِمِينَ ، وَاصْطَفَىٰ الرَّسُولُ مِنْ بَيْنِها (رَيْحَانَةَ بِنْتَ عَمْرِو بْنِ جُنَافَةَ) لِنَفْسِهِ ، وَتَزَوَّجَها بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَتْ ، وبذلك تَخَلَّصَ المُسْلِمُونَ مِنْ آخِرِ يَهُودِيٍّ في المدينَةِ...

وقَدْ سَجَّل البيانُ الإلٰهيُّ مَا حَدَثَ لِبَني قُرَيْظَةَ ، وَذٰلِكَ في قَوْلِ اللهِ تَعَالىٰ : ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢٦-٢٧] .

وَكَانَ ذٰلكَ جَزاءً عَادِلاً ، فَقَدْ عَاهَدَهُمُ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم ، عَلَىٰ أَنْ يُدافِعُوا مَعَهُ عَنِ المَدِينَةِ المنَوَّرَةِ ، وَعَلَىٰ أَنْ لاَ يَقِفُوا مَعَ أَعْدَائِهِ ، وَعَلَىٰ أَنْ لاَ يَغْدِرُوا وَلاَ يَخُونُوا العَهْدَ...

لٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ جُبِلُوا عَلَىٰ نَقْضِ العُهُودِ وَالمَوَاثِيقِ ، مِصْداقُ ذٰلكَ قَولُ اللهِ تَعَالَى :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ ﴾

[البقرة : ٨٤ـ٨٥] .

إِنَّهُمْ قَوْمٌ جُبِلُوا عَلَىٰ الإِفْسَادِ في الأَرْضِ ، وَمُعَانَدَةِ الأَنْبِيَاءِ ، وَالقُعُودِ عَنِ القِتَالِ ، وَتَحْرِيفِ الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ ، وَقِلَّةِ الأَدَبِ حَتَّىٰ مَعَ اللهِ سُبْحَانَهُ ، وَلِذٰلِكَ حَصَدُوا ذُلاً وَهَوَاناً لا مثيلَ لَهُ ، وَحَمَلُوا اللَّعَنَاتِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ، قالَ تَعَالَىٰ :

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة : ٧٨-٧٩] .

* * *

« يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَبَا يَحْيَىٰ »

وَلَمَّا انْقَضَىٰ شَأْنُ بَنِي قُرَيْظَةَ ، انْفَجَرَ جُرْحُ (سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ) ، فَرَفَعَ كَفَّيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فيكَ مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ وَأَخْرَجُوهُ ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي لَهُ حَتَّىٰ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ ، وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الحَرْبَ فَافْجُرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتَتِي فِيها .

وَسَقَطَ سَعْدٌ شهيداً ، فَحَزِنَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ ، وَلَمَّا دُفِنَ قَالَ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « إِنَّ هَذا

العَبْدَ الصَّالِحَ تَحَرَّكَ لَهُ العَرْشُ ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوابُ السَّمَاءِ » ، فَرَحِمَهُ اللهُ وَرضيَ عَنْهُ .

وآخِرُ دَعْوانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ ربِّ العَالمينَ

* * *